

## حوار حول المروءة

## شخصيات المحاوره:

- صونيا: صاحبة المنتدى الأدبي سيدة ثرية جميلة مثقفة تملك فكراً ليبرالياً وتؤمن بأن الحرية والعدالة أشياء تستحق أن يناضل الإنسان من أجلها.
- سليمان: مثقف يحمل لواء العقل وسيادة قوانينه.
- حسام: شاعر مبدع يملك ثقافة موسوعية، محبط.
- سوزان: مديرة ثانوية.
- جورج: مغترب أميركي لبناني الأصل.
- عائشة: صحافية في مجلة نسائية.

صونيا: أن يكون طلب المعرفة هو القاسم المشترك للتواصل بين رواد هذا المنتدى ومن يستضيفهم من النخب، لعمري هذا موقف حضاري، عسى أن يكون أسلساً يُبنى عليه لوثة نهضوية عقلانية، تنتشل الناس من فخّ الروتين، ودوامة العبثية، ومن تلك الروح النفعية التي تجتاح تفكيرنا هذه الأيام، حتى غدا كل شيء يُقاس بمقياس الربح والخسارة، وحتى غدا تفكير الناس أجمعين مثقفين وأميين، رجال أعمال وعمال، لا يدور إلا على محاور طلب المال والجنس والتمظهر بمظاهر الغنى والعظمة.

حسام: المعوفة هي ثمرة التواصل بين العقول حواراً ونقاشاً وجدلاً، والإنسان ليس عقلاً خالصاً، صحيح أن أعلى ملكاته هي العقل، وصحيح أن الذي أعطاه هويته كإنسان هو العقل، ولكن الصحيح أيضاً أن هناك أحاسيس ومشاعر وميولاً وغرائز، ولذا فإني أعتقد أن التواصل في مرحلة كماله يجب ألا يقتصر فقط على الصلاة في محراب المعرفة، فمن المستحب أن يرافق ذلك عدة إنفئات إلى أفروديت إلهة الحب والجمال، وديونيسوس إله الخمر والرقص والغناء، وتموز إله الخصب والغلال وما يرافق ذلك من فرح جماعي ينتهي بعقد زيجات جماعية تكرر الحب إحساساً بالواجب واستعداداً للعمل والكدح والعطاء.

سوزان: التعارف فرغ من المعرفة، ومن التعارف المبني على أسس الإحترام المتبادل والثقة المتبادلة تولد الصداقة التي تزرع الأنا والانتفاء في نفس الفرد، ويولد الحب الذي يثمر الخلق والإبداع في بعض جوانبه، والجموح والجنون في جوانب أخرى، والإتحاد حتى الإنصهار في مراحل بعيدة، وقد يثمر التواصل مع الشيطان فيولد الرغبة الجلمحة كما حصل لفاوست جوته، أو تواملاً مع الله في محراب العفاف والسمو كما حصل لأبي يزيد البسطامي.

سليمان: لكي يصبح طلب المعرفة عندنا طبعاً نمارسه بعفوية وإحساس باللذة وليس واجباً ثقيلاً نقوم به للحصول على شهادة تخوّلنا الدخول الى سوق العمل، أو من أجل " بريستيغ " إجتماعي يجعلنا نتباهى ونستعلي. علينا أن نؤمن أننا كلما ازدادنا معرفة كلما ازداد تواصلنا مع العقل الكلي الذي هو الصراط المستقيم وسدرة المنتهى وفعل كن في الكينونة الإلهية، وإذا نجحنا في التواصل مع العقل الكلي

غمرتنا الأنوار الإلهية الفيضية التي تنبت في قلوبنا وضماننا من كل زوج بهيج ما لا عين رأت من السعادة، ولا أذن سمعت من التناغم، ولا خطر على قلب بشر من الإبداع، أولئك الناس هم الفرعون الذين يشربون من كأس معين فينتشون ويرتفعون الى أعلى عليين، حيث المعرفة كليات مجردة وليست جزئيات محسوسة، وحيث الترفع عن الزمان والمكان في مفارقة عجيبة تجعل المرء خارج الزمان وهو داخله وخارج المكان وهو منحصر فيه، وخارج الجزئيات وهو يتعامل معها يومياً.

عائشة: لقد دعتنا الصديقة صونيا لتتحدث هذه الليلة في المروءة وما تعنيه بجوهرها وتمظهراتها، وأنت يا صديقنا سليمان أخذتنا الى متاهات بعيدة تحتاج الى أجنحة صقور لتحلق فوقها ونحن بالكاد قد نبت ريش جوانحنا وبالكاد نستطيع التحليق.

صونيا: من غرائب اللغة العربية الأسماء التي نظنها تعني شيئاً واحداً وهي تعني أشياء متميزة، فأنثى الإنسان مثلاً سميت امرأة لأنها تملك المروءة ولذلك كل امرأة أنثى وليس كل أنثى امرأة، وسميت أنسة لأن جلساءها يستأنسون بأحاديثها وشفافية جمالها، وسميت غادة لأنها ناعمة اللمس، وسميت بهكنة لأنها ضامرة الخصر ثقيلة الردين. لذا يجب ألا نستعمل الألفاظ على عواهنها فليس كل رجل امرؤ القيس وليست كل أنثى امرأة.

جورج: ولكن ما الصفات التي يجب أن يحملها الذكر ليصبح امرؤ القيس، ويجب أن تحملها الأنثى لتغدو امرأة، عجيبٌ أمر لغتكم العربية وأظنها بنضجها وإنسانيتها في واد وأظنكم في واقعكم المزري في واد آخر.

حسام: ليس سيف لغتنا هو الذي نبا ولكن عزائنا في الخلق والإبداع هي التي نبت. فلغتنا بميزاتها الإشتقاقية تستطيع أن تواكب التطور في حاجاته المستجدة لمفردات وتعابير جديدة، قلما توجد لغة غنية بمفرداتها كلغتنا ولها قدرة على إشتقاق مفردات جديدة من جذور قديمة كلغتنا، ولكن الإنسان العربي الذي غربت شمس حضارته في الألف الأول الميلادي ولما تشرق بعد من كثرة ما وطأتها أقدام فراعنة مستبدين متألّهين، عبثوا بكرامة الإنسان وحقوقه، واستباحوا عقله وحرّيته، وتركوه

كشبح، قدم من أقدامه على أرض الحياة، والقدم الأخرى في هاوية العدم، لقد عرّوه إقتصادياً حتى أكل الجراد والجرايبع وفئران الحقول وبعض ما اخضر من شوك البوادي والصحاري، وعروه ثقافياً حتى أصبح ابن تيمية وقصص الزير وأبو زيد الهلالي وألف ليلة وليلة مرجعه الأكبر. ونحن اليوم نريد أن نتحاور في المروءة، يا أصدقائي الأعزاء بيننا وبين المروءة صحراء زمنية عمرها ألف عام من المهانة والإسترهان والإستعباد والإستبداد.

سوزان: أيّ مروءة تتحدثون عنها والزمعاه في بلادنا تقاس تصرفاتهم بتصرفات آبائهم وأجدادهم وليس بما يصح في العقل أو ما لا يصح. ورجال المال عندنا يتبجحون بالأساليب الملتوية التي يتبعونها للهروب من الضرائب وتقايدات الموظفين والعمال، ووضع الشروط على توظيف النساء.

عائشة: يجلس أصحاب المصانع والفنادق والمقاهي وعلب الليل في الصالونات ويحاضرون في الشرف والأخلاق والمروءات والإنتماء الى الوطن، وكلهم يفضلون تشغيل الغرباء الهاربين من بلادهم بدافع الجوع أو البطالة أو الإستبداد أو التعصب الديني والإثني، ويحرمون أبناء الوطن من فرص العمل المتوفرة عندهم ويضطرونهم الى السفر والتشرد في القارات الخمس، هل تعلمون لماذا؟ لتوفير مصاريف الضمان الصحي والقدرة على طرد العامل دون أي بدل أتعاب، فهم يأكلونه لحماً ويرمونه عظماً. ثم بعد كل تلك الشناعات يظهر على شاشات التلفزيون كمتبرعين لمشاريع خيرية أو لبيوت أيتام أو لفرق رياضية، وتمتدحهم وسائل الإعلام كرجال أصحاب مروءات وتجعل منهم قدوة يجب أن يقتدي بها الآخرون.

جورج: في الولايات المتحدة تتلخص كلمة مروءة وفضيلة ومواطن شريف بدفع الضرائب. من يدفع الضرائب ولا يحاول الإحتيال هو من أصحاب المروءات حتى ولو كان تاجر مخدرات أو فتاة ستربتيز في علبة ليلية.

سليمان: على الإنسان أن يكون صاحب مروءة في التعاطي مع نفسه أولاً فلا يسمح لشهواته المعنوية والمادية بالتحكم بسلوكه، فمن شروط المروءة الأساسية أن يكون الإنسان سيداً لا عبداً، وأن يملك أخلاق الأسياد لا أخلاق العبيد.

جورج: ولكن كلامك أُلغاز تعقّد مفهوم المروءة أكثر مما تضيء عليه. فما هي أخلاق الأسياد وما هي أخلاق العبيد.

حسام: هذا يحتاج الى محاوراة مستقلة، ولكن دعوني أضيء قليلاً على الموضوع من وجهة نظري وقد أكون مصيباً وقد أكون مخطئاً. فالسيد هو من استطاع عقله أن يسود شهواته وغرائزه، أي من استطاع أن يجعل القسم الحيواني منه تحت سيطرة القسم الإلهي. والعبد هو الذي يسعى بأي أسلوب لإرضاء شهواته وغرائزه على حساب منطق العقل وقوانينه، فهو لا يؤمن إلا بفلسفة المنفعة، كل شيء نافع هو حقّ وخير وجمال، وكل شيء غير نافع هو باطل وشرّ وقبح، فإذا كان بيع الجسد ينفع مثلاً كان بيع الجسد حقاً وخيراً وكانت المحافظة عليه تخلفاً وتعصباً، وإذا كانت السمسرة بالمواقف السياسية والإقتصادية والدينية نافعة كانت خيراً وكان السمسار هو زعيم المجتمع وصاحب المبادئ رجعي يعيش بغير قيم عصره.

سليمان: المروءة أن تكون عطوفاً رحيماً متواضعاً مع الضعفاء بالفقر أو العجز أو المرض أو الذكاء، فتترفق بهم وتعاملهم وكأنهم أندادُ لك فلا تستعلي ولا تستكبر ولا تبتز ولا تستهزيء، وأن تكون عزيزاً على الأقوياء بالنفوذ أو بالمال أو بالسلطة أو بقوة البدن فلا تتزلف ولا تتنافق ولا تهادن ولا تتودد إبتغاء منفعة، المروءة أن تكون مهذباً بمعاشرتك للمرأة سواء أكانت تستحق أو لا تستحق، سواء أكانت شريفة أو عاهرة، فأبخس شيء في أخلاق الرجال أن ينظروا الى المرأة كأنثى تستدر الشهوات والرغبات بتضاريس جسدها، وليس كإنسان يملك العقل، والإحساس وفيه خميرة إلهية، المروءة في أن تظن بالناس الظنون الحسنة فهم شرفاء كرماء محبوبون جديرون بالثقة حتى يثبت العكس بالبراهين اليقينية وليس بالأوهام، ومن العار أن ترتاب بالناس وتتوجس شواً أو تظنّ أنّ إقترابهم منك هو بدافع مصلحة أو منفعة حتى ولو كان الأمر كذلك. وأنا برأيي المتواضع أننا تعلمنا الإرتياب بالناس وتوجس الشرّ منهم من الأنظمة الأمنية المخابراتية التي هيمنت على مجتمعاتنا فجعلت

الإنسان يخاف الآخرين ويخاف محاورتهم والتعبير عن أفكاره أمامهم بصوت أبلج وضاح، إنها أنظمة السوء التي جعلتنا نرتاب حتى بأنفسنا، لقد زرعت بذرة الظلامية في نفوسنا وحاولت أن تطرد كل نور خير جميل.

حسام: أما أنا فشروط المروءة عندي ألا ترى امرأة جميلة مغناجة إلا وتثني على جمالها وتمتدح غنجها ودلالها بأرق العبارات وأعذب الكلمات، فجمال النساء كجمال أشعة الشمس يطهر النفوس مما ترسب فيها من خبائث وأبخرة كثيفة وعفونات وفضلات، لقد لاحظت بالتجربة والبرهان أنّ المجتمعات التي تحجر على نساءها وتخفي جمالهنّ تحت البراقع والأحجبة، تزول منها الشفافية ويزول ذلك النور الإلهي الشعشعاني الذي يجعل العيون تتألق والجباه تتوهج والعقول تبدع، تزول المروءة من رؤوس رجالها فيغدون كقوالب كثيفة من الصلصال هاجسهم الشهوات الجنسية وتصورات خيالاتهم الأساليب الشاذة، وتتمو عندهم النزعة النفعية والشرة لطلب المال والتذلل لأصحابه وأصحاب السلطان، حتى أنني لاحظت أنّ المجتمعات التي لا تحترم النساء ولا تشعل البخور على مذابح جمالهنّ مجتمعات يضعف في رؤوس رجالها الحسّ الوطني والقومي والإنساني وتصبح ذات نزعات تعصبية أصولية تقدر الإتياع وتنكر الإبداع، وتغرق في قشور الشعارات وتبتعد عن جوهر المعرفة سواء العلمية أو العرفانية.

صونيا: علمني أبي منذ الطفولة أنّ المروءة هي أن نغار على كرامة المجتمع وكأنها كرامتنا الشخصية، فانتشار الشحاذين في الشوارع، وامتهان النساء للبعاء مصدراً رسمياً للعيش، وتفشي عصابات الإتجار بالمخدرات، وتحول الصحف وأصحابها وكتّابها إلى أبواق دعاية لأحزاب أو مرجعيات مالية وإقطاعية أو سفارات خارجية، وإشاحة وجوه طلاب الجامعات عن الثقافة الإبداعية العقلانية وتلهمهم بالثرثرة على "الفايس بوك" والتماهي مع مشاهد الأفلام الجنسية، كل ذلك من واجب صاحب المروءة أن يتصدى له ليس بالتكفير وجمعيات النهي عن المنكر، بل بنشر وتسويد الفكر المنطقي والفكر النقدي والإحساس الجمالي ورفع مستوى الأداء الفني رقصاً وغناءً وموسيقى ومسرحاً. دلوني في الوقت الحاضر على مرجعيات ترعى رجال الفكر والفنّ ولا تصدر لهم حرياتهم وتحولهم إلى خصيان

في بلاط السلطان. دلوني على زعماء يحاولون تثقيف أتباعهم تثقيفاً منطقياً عقلاً لئلا تكون عصبيتهم مبنية على مبادئ وحقائق وليس على تبعية إقطاعية غرائزية أخذها الخلف عن السلف. دلوني على مدارس وجامعات تنشر روح البحث والإبداع في عقول طلابها وليس أسلوب الحفظ والإجترار.

سوزان: المروءة برأيي هي أن تكون المرأة فاتنة متأنقة مهذبة متواصلة مع الآخرين و متمنعة عن الفضوليين وأصحاب الخبائث والعفونات. على المرأة أن تجعل الرجال يعتادون على التعامل معها كأنسان قيمته الأساسية في ثمار عقله وشفافية مسلكه لا في جاذبية تضاريسه الجسدية رغم أنني حريصة على إعتناء المرأة بتضاريس جسدها الى أبعد الحدود.

عائشة: المروءة في ابتعاد الإنسان رجلاً كان أم امرأة عن كل العوائق التي تمنعه من تحقيق إنسانيته، في الإنسان قبسٌ من نور الله عليه أن يحترمه ويرعاه وينميّه ولا يسمح لأي نزوة أو شهوة أو رغبة أو عادة بأن تعيقه عن القيام بهذا الإنجاز الرائع هذه هي المروءة.

جورج: في أميركا المروءة هي أن تسعى ليل نهار لتصبح غنياً لديك سائق وحارس شخصي وفتاة حسناء مخصصة للمساجات والتدليك والسباحة معك وأنتما عاريتين في بيسين الفيلا، ومرافقتك الى المطاعم الفخمة. أما إذا كنت على موعد عمل مع إحدى الشركات أو البنوك فمن المستحسن أن تخبر إحدى الشركات المتخصصة ليرسلوا لك فتاة مميزة بجمالها وذكائها بأجرة متفق عليها لأنه من المعيب في أميركا أن تذهب لإجتماع عمل رفيع المستوى منفرداً، وما يطبق هناك على الرجال يطبق على النساء على حدّ سواء.

والمروءة في أميركا أيضاً أن تطلب من إبنك أو بنتك عند بلوغ سن الثامنة عشرة مغادرة البيت، ومن قلة المروءة أيضاً أن تنفق على أولادك في الجامعة فعليهم أن يحصلوا على قرض يوفوه بعد تخرجهم. أما ماذا تفعل بأموالك التي هدرت كل قواك لجنيتها فهناك أساليب كثيرة منها تربية الكلاب وتوريثهم ومنها زيارة الكازينوهات دورياً ومنها السياحة الى أماكن بعيدة، أو شراء يخت مع كامل توابعه



من النساء والخمور والحراس، أو صيد السمك والتزلج على الماء، ثم الموت وأنت تبول في سروالك من كثرة شرب البيرة والإدمان على الكحول.

سوزان: المروءة ثمرة على شجرة العقل وليست فتوة على الطريقة المصرية أو قبضاي حارة على الطريقة الشامية، تبخرت في قراءة ودرس تراثنا الأدبي القديم فلم أرَ أعلى مقاماً من أولئك الشعراء الجاهليين فهماً للمروءة. فأين شعراء الغزل اليوم من عنتره الذي يغضّ طرفه مروءةً إذا بدت جارته حتى تواري جارته مأواها، أو من طرفة بن العبد وهو يكرّ إذا نادى المضاف يطلب إغاثة بأقصى سرعة ممكنة لتقديم الإغاثة، أو كزهير حكيم القوم الذي يقول للأغنياء بأنهم إذا لم يضعوا أموالهم في خدمة كرامة الجماعة يضرسون بالأنياب ويوطأون بالمنسم ويُستغنى عنهم ولا يؤوبون إلا بالمدلة.

صونيا: لم أرَ مثل الشاعر المتبّي فأنا أعتبر غزله في مقدمة قصائده الفخرية والمدحية من أجمل الغزل الذي قيل في لغة العرب قديماً وحديثاً، ومن أرقه وأعذبه وأكثره ابتكاراً، وأرى كم كان هذا الشاعر مترفعاً عن الم لذات الرخيصة والرغبات الجنسية فهو من قوم كأن نفوسهم أبت أن تسكن اللحم والعظم لشدة مروءتها، ومن قوم لا يحسبوا المجدزقاً وقينةً ولكنه وقفه مجد وعز وأنفة وحمية وهمة لا ترضى بما دون النجوم، وإذا ما مات صاحبها لا يترك جسداً تأكله الديدان، بل يترك دويماً في الجهات الأربع يصم الآذان وينفذ إلى أعماق الضمائر.

عائشة: وبعد هذه المروءات انطوى العلم ولم نعد نقرأ إلا غزلاً بالذكران ومدح متملقين منافقين على أبواب السلطان. أنا لا أعرف كيف يحقّ لأهالي بلاد حكمها المماليك الخصيان وغير الخصيان والمغول والتتار والأرنؤوط والإنكشاريون، أن يتحدثوا عن المروءات والكرامات، وعن سيادة العقل على الشهوات والغرائز، والتشبه بالله خلقاً وإبداعاً وشرفاً وعفافاً.

صونيا: هل المروءة في أن نأخذ من المجتمع أكثر مما نعطيه، أم هي في قول عنتره أغشى الوغى وأعف عند المغنم، أم كما قال زهير ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم، وأنا أفهم الحوض كرامة الجماعة، والسلاح هو كل ما يملكه الإنسان

من وسائل القوة، فالعقل هو السلاح الأكبر يتلوه المال ثم وحدة الكلمة ثم وضوح الرؤية وأخيراً المقاتلون الشجعان الذين يجسدون على الأرض كل ما توفر من وسائل القوة.

حسام: كل مجتمع لا تشارك المرأة في حراكه الجماعي، وفي توثبه الى نهضة جديدة، وفي ولادته من الأموات، مجتمعٌ سرعان ما تجنح قوة الإندفاع فيه نحو الدكتاتورية ثم الإستئثار بالسلطة والإستعانة بالأبعدين على الأقربين، وشعور الناس أنهم أصبحوا غرباء داخل أوطانهم، وسقوط العقل الجماعي في مستنقع العبثية أو القدرية.

سليمان: لا شيء يتناقض مع المروءة كالفكر العبثي والمسلك العبثي، فإن لا نعرف ماذا نريد، أو أن تصبح إرادتنا موجودة بالقوة وليست موجودة بالفعل، فنتحول الى مواقف رذات الفعل وليس الى مواقف الفعل، لعمرى لا يوجد دناءة تعادل هذه الدنائة، ولا يوجد امتهان لإنسانية الإنسان يعادل هذا الإمتهان. والعبثية والقدرية شجرتان من جذر واحد، فإن نعلق كل مشاكلنا على علاقة القدر ونعفي أنفسنا من مسؤولية أن نعمل على أنفسنا لنستنهضها ونجعلها تسير في موكب التطور والإرتقاء هذا هو الإنحطاط بعينه.

صونيا: نحن أبناء الشرق مشكلتنا مع القدر مشكلة مزمنة لأن مشكلتنا مع الظلم والإستبداد والقهر والفقير مشكلة مزمنة. لقد أقفلت الأنظمة الإستبدادية التي حكمتنا، باسم الدين حيناً وباسم القهر أحياناً، كل النوافذ التي يمكن أن نطلّ منها على الأمل بالتطور والإرتقاء، وفرص السعي بعقل منطقي لنعمل على أنفسنا ومجتمعاتنا ونحقق الإنسان في ذواتنا كي لا يبقى رأسنا رأس إنسان ووسطنا وسط حيوان وأطرافنا أطراف أسماك لا تستطيع الخروج من ماء استنقاعها. رحم الله المتنبى الذي كان يخاطب الدنيا قائلاً لها بأنه ما يريد هو لا ما تريد هي، وليس أمامها في هذا المقام إلا حلان إما أن ترضخ لإرادته وتسير في ركابه، وإما أن تغرب عن وجهه ولتفعل ما تفعل فهو مستعد للمجابهة والعراك.

سوزان: من كثرة ما حكمنا الغرباء بالقهر والغلبة، ومن كثرة ما استباحوا كرامة الإنسان في عقولنا وعواطفنا وأجسادنا، ترسخ في لاوعينا أنّ أي معاندة للسلطة الحاكمة يعتبر مروءة، وأي خروج على قانون الدولة يعتبر بطولة. فاختلطت المفاهيم في رؤوسنا وما زالت، وأصبحنا عاجزين عن التمييز بين البلطجة والمروءة وبين التشبيح والبطولة الأمر الذي جعل أكثر الصاعدين الى النفوذ في بلادنا سواء النفوذ السياسي أو النفوذ الإقتصادي يمارسون البلطجة وفي ظنهم أنهم يمارسون المروءة.

عائشة: أعرف رجال أعمال يتفنون في تشغيل عمالهم ساعات إضافية دون أي بديل، ويموهون في مسألة ضمانهم الصحي ونظام الصرف من الخدمة والإكتفاء بدفع الحد الأدنى للأجور. ثم يعود رجال الأعمال هؤلاء ليقوموا بالولائم والعزائم في قراهم ومدنهم، ويوزعون بعض الأموال على الأرامل ويقدمون خدمات شكلية للبلديات والفرق الرياضية والنوادي، ليظهروا بمظهر رجال الأعمال الذين يغارون على كرامة المجتمع فيغتي الزجالون لهم في المناسبات وينشدون قصائد الشروقي مادحين مروءاتهم ويدبج منافقو الصحافة عنهم المقالات وما أدراك ما منافقو الصحافة وما هي مقالاتهم.

حسام: صدقوني أيها الناس أنّ الرجل أناني جبان بخيل مستبد بطبعه ما لم تستثره امرأة عاقلة جميلة فاتنة جريئة فتجذبه وهو مأخوذ بفتنتها وبهائها وذكائها الى المروءة والبطولة والكرم والخلق والإبداع. إذا أردتم رجالكم أصحاب مروءات وبطولات وذكاء وقدرة على الخلق والإبداع، ربّوا نساءكم ليكنّ نساءً جميلات رشيقات فاتنات منفتحات عاقلات ذكيات، ربّوهن ليكنّ سهلاً ممتنعاً قريبات من الرجال على بعد بعيدات عنهم على قرب. ربّوهن ليكنّ تماماً كما أشعة الشمس وهجها يلفح الوجه والعينين والبشرة حتى إذا أراد الرجل أن يمسك بها أمسك بخيال أمنياته ليس إلا.

عائشة: يبقى ميزان العقل هو الميزان الصحيح الذي نزن به المروءة، والشعوب التي صادر الحكام الظالمون عقولهم بماذا يزنون؟ والجماعات التي سرقت الأنظمة الأمنية خمير عجيب شهامتهم بماذا يخمرون، والمتقفون الذين باعوا ملح أقلام

ابداعهم لمن يدفع أكثر في مزايدات علنية وسرية بماذا يملّحون ويبدعون؟ المروءة ليست مادة وعظ وإرشاد في دور العبادة أو الندوات أو حفلات الزجل، إنها تماماً كما الديموقراطية ممارسة تبدأ من تحت من قاعدة هرم المجتمع صعوداً الى فوق الى رأس الهرم، وكل مدماك في بنية الهرم يستتبت أحجار المدماك الذي يليه حتى الوصول الى القمة. المروءة لا تُصنع إلا في مصنع الثورات الثقافية التي تنمي الإيجابيات وتحطم السلبيات بمطارق وفؤوس الإرادات الخيرة الشجاعة، المروءة هي كوكتيل عقل وشجاعة وانتماء وعاطفة وشوق لمعانقة المطلق.

جورج: هل تعرفون لماذا نحن المغتربون اللبنانيون التصقنا بصدر أميركا حتى الإتحاد، وكدنا ننسى وطننا الأم. ذهبنا الى أميركا فقراء معدمين أغبياء لا نملك إلا عزائنا وقرارنا في أن يكون لنا مكان تحت شمس الكرامة والحرية، أعطتنا أميركا حرية التعبير عن تقاليدنا وعاداتنا ودياناتنا ولغائنا، سمحت لنا بإصدار مجلات وجرائد وشجعتنا على تأسيس جمعيات ونواد ودور عبادة، قالت لنا أعطوني لأعطيكم، طوروني لأطوركم، أخلصوا لي لأخلص لكم، إستنهضوني لأستنهضكم. لن أضع في طريقكم أية عراقيل تمنعكم من التطور علماً وعملاً وسلوكاً، كلكم أبنائي بالتساوي، من أتى من أوروبا ومن أتى من الشرق، الفرصة في جعبي تقدم لمن يعطي أميركا أكثر إبتداءً برئاسة الجمهورية وانتهاءً بالكونغرس، لا يستطيع في ربوعي رجل أن يبتز امرأة أو أن يورث مركزه السياسي لإبنه، كل واحد يحبك عباءته بيديه. ابن عامل البلدية قد يصبح رئيساً إذا أظهر القدرة على العطاء والقيادة، وابن الرئيس قد يصبح متشرداً ينام في أقبية المترو إذا قرر أن يكون عبثياً. أنتم أبناء الشرق تظنون المروءة والشهامة في إقفال المرأة لساقها، وفي القيام بالشعائر الدينية، وفي تقديم فتات الموائد لليتامى والأرامل.

أميركا لا تقدم لليتامى والأرامل فتات الموائد، بل تقدم لهم فرص العمل الكريم، تقدم لهم القروض ليتعلموا ويتخرجوا من أرقى الجامعات ويأخذوا أماكنهم التي يستحقون، تقدم لهم احترام حقوقهم الإنسانية وتساعدهم على تحقيق ذواتهم إن هم أرادوا ذلك. أليست هذه هي المروءة يا أهل هذا الشرق العتيق.

سليمان: لا تلوموا الأفراد فلامتهم ظلم وتعد في كثير من الأحيان، بل لوموا العقل الجماعي الذي يفرض نفسه بقسوة على الأفراد ويمنعهم من التفكير الحرّ ويفسد قدراتهم على التمييز بين الصحيح والخطأ بين الحقّ والباطل. أخبرني صديق عراقي مثقف يعيش الآن في السويد أنه شاهد بأمر عينه في شول العراق رجالاً يمارسون الجنس مع إناث الحمير وهم يتلذذون بذلك وكأنهم يمارسون الجنس مع حوريات الجنة، ويفعلون ذلك بدون أدنى خجل لأن تقاليدهم التي صاغها العقل الجماعي تستسيغ ذلك وقال لي هذا الصديق العراقي أنّ هؤلاء الرجال أنفسهم إذا أخبروا بأن امرأة من عشيرتهم نظرت بعين العاطفة الى رجل من عشيرة أخرى استلواّ خناجرهم وهجموا هجمة نمر جريح وهم يصيحون " لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم" أما في الحارات والقصور والزوايا المغلقة بالتعصب أن تتلذذ امرأة في تقبيل امرأة أخرى أو رشف عطر أثنائها أو أكثر بكثير فليس مشكلة تستحق الوقوف عندها، كذلك أن يمتطي رجل ظهر صبي ما زال قاصراً، ويتناوب مع صديقه على الإمتطاء فليس ثمة مشكلة، ولكن الطامة الكبرى أن تظهر امرأة شعر رأسها لرجل أو تسمح له برؤية ركبتيها أو أن تسوّل له نفسه رؤيتها بغير عباؤها السوداء التي تحولها الى غراب أو بوم. أيها السادة لنعترف بالحقيقة ولا نكابّر، الزمن الذي تمتعنا به بأقصى درجات المروءة كان الزمن الذي سميناه ظلاماً العصر الجاهلي " وما فتوحات عصر الراشدين والعصر الأموي إلا تجسيدا لمروءات العصر الجاهلي." وعندما خرجنا من أخلاق جاهليتنا الى أخلاق العصر العباسي غدونا أصحاب جوار وغلمان ومماليك وخصيان، أصبحت أخلاقنا أخلاق عبيد ولم تعد أخلاق أسياد، أخلاق مقعدين ولم تعد أخلاق فرسان. وها نحن اليوم نعيش أخلاق العبيد ونردد أشعار الأسياد والفرسان.

عائشة: تريد أن تقول لنعد الى جاهليتنا لتعود إلينا مروءاتنا فهل مثلك الأعلى عروة بن الورد وحاتم الطائي وعنترة وعمرو بن كلثوم والملك الضليل والزهير الحكيم؟

حسام: ليتنا نستطيع أن نتمثل بأولئك الناس.. بل ليتنا نقوم بثورة ثقافية عاتية تنسف كل ما ورثناه عن العصر العباسي والمملوكي والعثماني ونعود الى جذورنا الأولى، لنعود كائنات لها مكانتها تحت شمس الحرية والكرامة والفرسية.

صونيا: طالما سلطاتنا تسحب علينا أساليبها البوليسية القمعية، وطالما أصحاب الذهب الأسود يسحبون علينا قيمهم، وطالما نفقد عزتنا ومناعتنا أمام الترغيب والترهيب فنحن نسير الى هاوية عصر الإستهلاك مترافقاً مع الفكر الغيبي وتلك العبثية القدرية التي تجرد الإنسان من عقله وإرادته وتحوله الى كتلة شهوات يضاد بعضها البعض الآخر في نهماها باتجاه الإستهلاك.

سليمان: لنحدد أعداء نهضتنا والعوائق التي تمنعنا من تحقيق إنسانيتنا وممارسة مروءاتنا بأربعة: الإقطاع الديني، الإقطاع السياسي، الإقطاع المالي، ومشكلة تحرير الأنثى لنتعامل معها كإنسان وليس كأنثى وتحرير الذكر لنتعامل معه كإنسان وليس كذكر.

الجميع: لقد عرفنا الأعداء وعرفنا العوائق فهل نملك المروءات لنعلنها ثورة ثقافية مدوية ، لنعلنها ثورة ثقافية مدوية.

كمال يوسف سري الدين